

صراع بين قيس وهرمز يفتح

بقلم الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

الأُمير محمد بن محمد بن ماجد

يرصدى لجيش السلطان السلفي

ويديره فوق جزيرة أوال

الباب لوصول السافريين إلى الحاج

كان القرن السابع الهجري هو قرن المأساة . والقرىء
لما سطرته القلام المؤرخين سوف يواجه بالقتلالم الشديد
فقد نشطت القلام المؤرخين ننهي الاسلام والمسلمين .
وخيمت عل سماء القرن قتال سوداء المار بها في الانساق
الاسلامية لحصول المفلول وهجمات الصليبيين . واخذت
الخلافة العباسية تتفكك اقر انفسها بعد ان اصبح
الخليفة المعوية في ايدي الجند . وشاع الشرق والقتال
والتصارع في كل الاجزاء يفتك بمختلف الدول التي نشأت
تحت حياة الخلافة . وفي الخليج اثرت الهجمات
للكسحة على المقام الاسلامي الامواج فشهدت المياه
الهائلة هي الاخرى بعض الحروب والصراعات وفوق
ارض البحرين اظنت الفرقة تسرق الدولة العيونية
للسرع هي الاخرى نحو الهلوية ولكن قبل السقوط كانت
هناك قصة هي قصة الصراع الذي امتد من اوال
والقطيف والاحساء الى جزيرة قيس وهو الصراع الذي
اشتركت فيه قوى اخرى هي قوى شيراز والدولة
السلفرية والمفلول والدولة الخوارزمية ليرسم بعض
صامح التاريخ فوق هذه الارض خلال ذلك القرن

يجمع المؤرخون على أن القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، كان قرن النحس بالنسبة للإسلام والمسلمين ، ويقولون أن هذا القرن كان من أسوأ القرون التي مرت بالعالم الإسلامي الذي أظلت شمسهُ على بقاء شاسعة من المحصورة والذي حمل المسلمون رأياتهُ إلى أقصى الغرب الأفريقي وإلى مناطق موعلة في الشرق الآسيوي . ففى هذا القرن بدأت الخلافة العباسية طريقها نحو النهاية ، وفككت دسائس الخصيان والعبيد وقادة الهند بما أمثاله به البيت العباسي من صلابه ، وأخذت قبضة الخلافة تضعف تدريجاً وتتآكل فيها لضعفها الانحلال وتحول العالم الإسلامي الضعيف والقوى إلى خلافة هزيلة تلفظ انتسابها الأخيرة . ودويلات أخذت تظهر هنا وهناك في جو من الكفاح والتناحر والعداوة .

ونظرة واحدة على خريطة العالم الإسلامي آنذاك تؤكد هذه الحقيقة المرة .

ففى غرناطة بالأندلس كانت دولة بنى نصر وفى شمال إفريقيا كانت دولة الموحدين وفى الجزائر الدولة الزيانية وفى تونس الدولة الحفصية وفى سمراتكن الدولة المرينية وفى مصر دولة المماليك البحرية وفى اليمن الدولة الرسولية . وفى صنعاء أحد أئمة الزيدية وفى بلاد الروم من الصلاجقة ركن الدين طليح أرسلان الرابع وفى ماردين الدولة الأرمنية وفى فارس الاتابكية السلفورية وفى لورستان

الأتابكية الهزاروسية وفى كرمان دولة قتلغ خان^(١) .

دويلات هنا وهناك . أما في بغداد فقد كان الخليفة العوي في يد الأمراء الأتراك ثم في أيدي بنى بويه الديليين والسلاجقة ولم يعد له سوى الاسم خاصة وقد ثبت في أذهان الناس منذ العصور الذهبية للإسلام أن الخلافة نظام لا بد منه لصالح العالم . وأصبح كثير من الأمراء في هذه الدولة وهم الأمراء الذين كونوا لأنفسهم دولا بعد السيف يلجأون إلى الخلافة حتى يعترف بهم ليحصلوا على تأييد الشعوب التي يحكمونها . وحتى يدعروا حكمهم بالشريعة . وإن كانت شرعية هشة لا تقدم ولا تؤخر .

وفي القرن السابع أيضا أصبح العالم الإسلامي مستهدفاً وهو شيء طبيعي . لهجمات ضارية وكاسية من القوى المعادية المحيطة به . فواصلت أوروبا الاستعداد لتجديد حملة صليبية جديدة هي الحملة الرابعة على الشام ومصر ، وانطلقت جماعات المغول والتتار لتعيد في أرجاء الأرض الإسلامية وهي تتكسح في طريقها كل شيء . الناس والدين والزرع وتنتشر الموت والدمار والخراب في كل مكان . وقد كانت هجمات المغول شديدة الوطأة لدرجة أن الكثيرين تصوروا وقتها أن الإسلام قد انتهى وإن المسلمين قد أبادوا . وإذا كان جنكيز خان^(٢) قد توقف بمعلاته عند فارس وانطلقت قوته شرقاً لتستولى على معظم أراضي الصين وتضم

تركستان وسيلاد ما وراء النهر وأفغانستان والدول الواقعة جنوب روسيا فإن حفيد هولكو^(٣) نطغ ق زحف نحو القوقاز فتكسح أتابكيات قارس وقضى على الحشاشين وجاسر بغداد ثم اقتحمها جنده بعد فستسلام الخليفة المستعصم بالله تحت خدعة وزيره ابن العظمى ، واشاعوا فيها الخراب واشعلوا فيها النار وعرضوا سكانها على السيف وقتلوا الخليفة واثنين من أبنائه ثم انطلق هولكو إلى شمال الشام ليفتك حلب ويقتل أعداداً لا تحصى من أهلها . وإذا كانت هذه الهجمات قد تضاقت - الصليبية في المصورة ومصر والمغولية في عين جالوت فلسطين - إلا أن الظلال السوداء التي ملأت بها سماء العالم الإسلامي كانت من القسامة بدرجة أفرغت الجميع . ويظهر ذلك واضحا في كتابات كثير من المؤرخين المعاصرين للأحداث ليقول شيخهم ابن الأثير وهو لم يدرك سقوط بغداد وإن عاصره هجمات جنكيز خان :

لقد بقيت عدة سنين مفرسا من ذكر هذه المصيبة استغلاما لها . كما رأينا لأذكراها فانا أقدم رجلا وآخر أخرى . فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين ومن الذي يهون عليه ذكر تلك قبائليتي أمي لم تدني وبيايكتي . من قبل هذا وأكنت نسيانا منسيا . ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً . هذا الفصل يتضمن ذكر المصيبة للعظمى والمصيبة الكبرى فلو قلنا قال إن العالم منذ خلق

الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها وهؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والأطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة فانا لله وأنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ويقول ابن الأثير في موضع آخر من تاريخه الكامل^(٤) :

ولقد جرى لهؤلاء التتار مالم يسمع بمثلهم من قديم الزمان وهديته - طائفة خرج من حدود بلاد الصين لا تنقضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم إلى بلاد أرمينية من هذه الناحية وجاؤزون العراق من ناحية همدان . وتنا الله لا أشك أن من يبيع بغداد إذا بعد العهد ويرى هذه المصيبة المستورة يتركها ويستعيد والمق بيده فمن استبعد ذلك فليظنر أننا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ في زماننا في وقت كل من فيه يعلم هذه المصيبة أسفروا في معرفتها العالم والمجاهل لشهرتها يسر الله للمسلمين والإسلام من يحفظهم ويوصلهم ... ولم يزل المسلمون أذى وشدة منذ جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا الوقت متتاما فدعوا إليه الآن ... وتحدث هذه المصيبة منهم النور إلى خراسان فملكوها ولعلوا مثل ذلك . هذا العدو الكافر التتر قد وطشوا بلاد ما وراء النهر وملكوها وخربوها ثم إلى أذربيجان وبلاد الجبل وأذربيجان [كذا] وقد اتصلوا بالكرج فغلبوهم على بلادهم والعدو الآخر الفرنج

قد ظهر عن بلادهم في أقصى بلاد الروم بين الغرب والشمال وصلوا مصر فملكوها مثل دمياط وأقالمو فيها ولم يقدر المسلمون على إزعاجهم عنها ولا إخراجهم منها وبقي ديار مصر على الخطر فأنزل الله وأنا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .
ويستدل بإساقوت الصموني (٢٦٦هـ) وكان معامرا لغارة المغول وهديقا لابن الاثير وقد استطاع أن ينجز بنفسه من الغارة .
هـ فأنزل الله وأنا اليه راجعون من حادثه تقصم الظهر وتهدم المعبر وتنت في العنق وتضيئ الوليد . ويتصحب لب الجليل . وتسود القلب وتذهل اللب فيعجزن تلجأ الملوكة . يقصد نفسه - على غلبة شاكسا ومن الأوبة الى حيث تستقر اليه النفس بالأمان أيضا ...
كانت هذه نظرة خاطئة على القرن السابع الهجري وحال المسلمين فيه وهو قرن يمكن أن يطلق عليه بحق قرن المسابسة ، ولكن هل رغم من عبق المناهضة التي تعرض لها العالم الاسلامي فان القرن السابع الهجري لم يحط من المؤرخين بحقه من التحليل والدراسة . لقد كتبت مئات الصفحات ولكنها تناولت تاريخ هذا القرن بالأسود المستطع المصعوب بالفتاوى والأياس ولم يتوقف كثير من المؤرخين لتحليل الاحداث التي حافت بالعالم الاسلامي ويستنبطوا منها طبيعة الخيوط التي كانت تربط بين القوى التي اشتكرت في الهجوم على العالم

الاسلامي من مختلف الجبهات .
واذا كان هدفنا من هذا البحث بالدرجة الاولى هو استقراء تاريخ البحرين خلال هذا القرن للخطوب ، الا أننا لا نستطيع ان نتفائل عما تروى اليه مطور تاريخنا القديم من ظواهر تنبئ ملامحها وبسط الاحداث هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان هذه الخطوب احدثت هزة عنيفة في كل ارجاء العالم الاسلامي . والبحرين جزء منه . وانعكست آثارها بدرجة او اخرى على القوى التي كانت تهيمن بالبحرين والتي كانت على علاقة بالقوى الكبرى المتصارعة في الساحة .
وقد يكون من المفيد ان نقول ان عنف الهجمة لم يترك لمسة من الوقت للتحليل والتفكير ولكن المستقرى لهذه الاحداث اليوم لا يملك الا ان يتوقف طارحا بعض الاسئلة منها :
● لماذا تسلطت أوروبا المسيحية في تجريد حملة جديدة هي حملتها الصليبية الرابعة في أوائل هذا القرن بعد ان كانت قد توقفت حينئذ من الدهر . وهل هناك ما يمكن ان نستنبطه من هوكية فزوات المغول على العالم الاسلامي من الشرق لحملات الصليبيين من الشمال والغرب ؟
● هل هي مصادفة ان بلاط المغول كان به بعض الرهائن المسيحيين ففي بلاط كيوك المغولي الذي تورى الحكم عقب جده جنكيز خان (٦٤٤هـ - ٦٢٦هـ) كان يوجد بعض القسس من المسيحيين وفريق من اليونانيين وقد كانوا يوزعون

صدرة باستمرار ضد العلماء المسلمين من أمثال نور الدين الخوارزمي لدرجة أنهم طُلبوا منه ان يستدعي هذا العلم المسلم وبمجموعة من زملائه الى البلاط لمتناظرهم حول الاسلام واتسيمية فلما انهم لم يوافقوا على ما يطلبونه ان يصل امامهم فلما اصطف الصلاة هو ورفاقه قام للرهبان المسيحيين يضربهم بطريقة وحشية ثم السخرة منهم والعبث بهم بطريقة همجية مجحفة (١).
وفي بلاط مانجو خان ايضا وهو الذي حكم المغول بعد كيوك تواجد الرهائن المسيحيون بصورة واضحة . فبعد توليه العرش يستنزل زار بلاطه ووليام ووبران وغيره من الرهبان المشهورين حيث استقبلوا بظواهر الاحرام والحقارة (٢).
● لماذا ظهر على أوروبا المسيحية الهدوء لدرجة أنهم شغلوا بالأعداد لمملتهم الصليبية الرابعة (١٢٠٤م) صلي الشرق رغم ان هجمات المغول كانت ترجع العالم كله رجسا عنها ورغم ان هذه الهجمات كانت قريبة جدا فقد اكتسبت الجور وبولندا ولكنها توقفت عند أوروبا الشرقية ولم تتجاوزها .
● هل كان لتواجد الرهائن المسيحيين في البلاط المغولي تأثير وهل كان هذا التواجد وراء الاندفاع المغولي نحو الشرق الى جنوب روسيا وشمال الصين واكتساح جنوب غرب اسيا وهي مناطق تواجد فيها الاسلام .
كلها اسئلة قد يؤدي بحثها الى شيء قد تقود الاجابة عليها الباحثين الى

معرفة الخيوط الربعة التي كانت وما تزال تربط بين الجبهات المعادية للعالم الاسلامي وتتسق بطريقة غير منظورة بين هذه الجبهات خاصة والنظرة الشاملة التي تعمس اغناق القرن الثالث عشر الميلادي - السابع الهجري بما يربو بها به تقادم العهد من ضروب وجلاء بالاضافة الى المصليات الجديدة لتحركات القوى السياسية والعسكرية في القرن العشرين كل هذه امور تلجج عشرات الاحتمالات وتتيح كسا كبيرا من المعلومات التي يمكن ان تؤدي لكثير من النتائج . ولا يلوغنا هنا الا ان نحكي ابن الاثير فقد شك بحسه الصادق ان هناك ترابعا بين هجمات الشرق وهجمات الغرب .
على العموم كان هذا عرضا سريريا لاحوال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي وهو عرض لا بد منه كمقدمة لما نحن بصدد الحديث عنه في هذا البحث عن البحرين في القرن السابع الهجري ونأش في البداية الى سؤال كبير هو اين كانت البحرين وسط هذه الاحداث الجسام ؟
رأينا فيما سبق ان الخلافة العباسية دخلت في هذا القرن مرحلة الانحلال الفعلي وأصبح الخليفة العويبة في يد الجند ولم تكن الدويلات الاسلامية التي قامت على انقاض الكثير من مناطق الخلافة تقيم وزنا للخليفة وان حرص امراؤها على الحصول كسا قلنا على تفويض من الخليفة وهو التفويض الذي كانوا يحصلون عليه بالتهديد نارة وبالمال

العقيلات فوافق الأمير مسعود ومعه
الامالي هذه المرة على دفع الدية .

هذا الضعف الذي أصاب السلطة
الحاكمية في الاحياء وجعلها خضعت
لطالب احدى قبائل البدو التي بدأت
بالعداوة وقطع الطريق يعكس مدى ما
وصلت اليه الحالة في تلك الفترة وهو ما
يشعره ابن المقرب بقوله .

اق كم مداراة العدا . واجتراسها
وكم يعثرينا ضيقها واحتماسها
سلو عن ملوك منكم هل الفدا
لعود غليل بعدد ما او ليانها
يؤدى فتييل كان في كل ساعة
يجمع او يابسا كثيرا طافها
ويصلح طرق المسلمين نهارة
عبانها ولا يثني عنها ظلامها
وما قيل ضرر اهل في عصابة
ليل من الحذر الخبيث احتسابها
فاوجزها نجلاء طغنة لشار
كعجب لقيس لا يرجي الخلفها
والقصيدة طويلة ويمكن الرجوع اليها
في ديوان الشاعر وهو يستغفر فيها اهل
البلد ويحث في نفوسهم العناسة ولكنه لم
يتطرق فيها لذكر الأمير مسعود وابنه
الفصل لياسه منها ولما لم يجد لدعوته
صدى سافر الى العراق وأهل قصيدته
التي قالها أثناء سفرته هذه الى بغداد
سنة ٦١٢ هـ نحدد لنا تاريخ هذه
الحادثة ويقول فيها :

لم فاسد العيس للترحال مقترنا
وارم الخبايا عن الخطب قد فضا
ولا تفتلت ابي اهل ولا وطن
فلحمر يرحل عن دار الاذي كرمنا
ان الخفية فاعلم عند ذي حميم
ولا الرنية هان الامر او عظمنا

لا يقبل الضيم الا عاجز ضرع
اذا راي الشر يقبل قدره وجها
واخسر الناس سعيها رب صملك
الاع في اسرها التمتون والخصما
والقصيدة طويلة وقد حشد فيها كل
عناصر الفخر ينادي قومه وعزهم . ول
حوالي ٦١٥ هـ تمكن الأمير علي بن
ساجد بن محمد بن علي بن عبدالله
العموني أخو الأمير محمد بن ماجد الذي
قتله عنه مسعود استطاع ان يلقى حل
حكم مسعود وابنه الفضل وان يستولى
على الاحياء وتصل هذه الاخبار الى ابن
المقرب في بغداد فيعود الى الاحياء
ساجد الأمير علي بن ماجد بقصيدته التي
مطلعها :

صدت فجئت حبل وصلك زويت
توبها واعجبها التجاب لمعجب
يا هجر الاطراف تخطب صليها
يلجأ اليه من الزمان ويهرق
انزل على الملك الذي بعثته
تلقى الرمال ويستريح الخشب
لله دور يا هلي فلم بعد
الاه في هذا الزمان سديد
اضمت بك الاحياء سائنة وقد
ضخت بمن فيها وكنت تخطب
ومثقتها من بعد ما كنت سدى
في كل تلمعة تخار وتضرب
وملائها عدلا وكنت عممت
جورا تغور به الفير وتضرب

ولكن لم تطل مدة حكم علي بن ماجد
فقد هاجم الاحياء الأمير محمد بن
غوير بن الحسين بن شكر بن علي بن
عبدالله في الصفحة رقم ٥٤٢ من ديوان
ابن المقرب على صاحب الديوان على هذه
العادة قائلا :

حين خرج الأمير علي بن ماجد من
الاحياء بقيت قوم من اهل البلد مع
مقدم بن غوير بن الحسن بن شكر بن
الحسين بن عبدالله فملكها وكانت
تدبرها وتلك انهم ساروا يقدمون قوما
ليسوا من اهل الشرف ولا من ارباب
الدولة ولا من القرابة لهم حتى زهد فيهم
الصديق وبغضهم دور قربانهم وطمع
فيهم العير . وصارت العامة تقدم من
ثريد وتؤخر من ثريد من السلاطين ومما
بلغ من سوء تدبيرهم انه اذا ملك احدهم
أخرج جميع اهل الفضل والشرف من
البلد فخرجت المملكة من ايدي اهلها
بفساد التدبير وصارت البلد للعدو الذين
هم البتر وما بقي السلطان بقدر على حال
يجد به جنودا تمنعه وتطفله وتذبح عنه
ياش وعيته فاجترت الرمية وصل كل له
صولة وكل يريد الملك على يديه . واعتوا
بذهاب ابي ابراهيم . وغوير بن الحسن
نشأ في لقيادة الامر الذي جعله لا يعرف
اهل البلد فاجاب اهل البلد هو المكر الى ما
اوردوه في آل ابراهيم فقبض على عدة
رجال منهم واتقاهم في المنزلة^(١٧) ونهب
ما في خزائنها .

ويعد ان يش ابن المقرب من صنع
غوير سافر الى القطيف ونظم قصيدته
التي مطلعها :
كم يفتننوش الى العلا تعذراتي
فما كما لكما بذلك يدان
ويقول شارح الديوان ان الشاعر ابن
المقرب ارسلها الى ابراهيم بن جروان
أحد رؤساء الاحياء وهذا خطأ لأن
ابراهيم ابن جروان جاء بعد زمن الشاعر
بوقت طويل والصحيح ان القصيدة
ارسلت الى الأمير محمد بن عبدالله بن

سنان يؤكد ذلك أحد الأبيات التي وردت
في القصيدة وهو يحدد بوضوح المرسل
اليه والبيت يقول :

وصلوا حبالكم بحبل محمد
تسجل المعظم عبدل بن سنان

ومحمد بن عبدالله بن سنان هو الآخر
من آل أبي جروان وقد يكون ذلك هو
السبب في اختلاط الأمر على شارح
الديوان وهذه القصيدة طويلة وهي
تصف حيلة البصريين في اواخر ايام
العمونيين خير وصف . ويدها سافر
الشاعر سفرته الطويلة الى الموصل للقاء
الملك الأشرف موسى بن الملك المعادل
وكان صاحب بلاد الجزيرة وضلال
ومنازلهم وذلك في سنة ٦١٨ هـ وقد
انتهت دولة العمونيين في الاحياء بهرير
وانتقل الحكم الى آل مسعود بن بني
عقيل بن عامر وأول حكامهم مسعود بن
راشد بن عميرة بن سنان بن لعل

أما في النسطر الثاني من دولة
العمونيين وهو أول القطيف فقد ذكرنا
أمرهم في بحثنا عن العمونيين بالعدد
الأول من « الوثيقة » وانتهينا الى عام
٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م وهي السنة التي
انتهى فيها حكم فاضل بن ماجد بن
أحمد بن أبي سنان بن عبدالله بن علي
العموني وظل على الحكم أخوه جعفر بن
ماجد ولم تطل مدة حكم آل اشهر^(١٨) ثم
أخبره المسيعين من القطيف وتولى الامر
بعد ابنه الأمير مسعود بن أحمد بن
محمد أبي سنان بن الفضل بن عبدالله
العموني والأمير مسعود المقصود هنا غير
الأمير مسعود بن محمد بن علي بن
عبدالله العموني الذي حكم هو وابنه
الفضل الاحياء . أما أبناء الأمير
مسعود بن أحمد فهم محمد وحسين

ولكن في اوائل القرن السادس اصاب الهرم دولة السلاجقة وانتعشت الى اتابيكات وصلت الى ١٨ اتابكية يحكم كلا منها اتابك يدفعه الطموح الى محاولة توسيع رقعة اتابكيته على حساب جيرانه وشبت الحروب واشتعل الصراع واخذ الاتابكية يلجأون الى الخليفة يطالبون بتأييده او تفويضه او دعمه العلني في الصراع الدائر بلا هوادة فلما حل عهد الخليفة المسترشد (٥١٢ هـ - ٥٢٩ هـ) (١١١٨ م / ١١٣٥ م) بدأ الخلفاء محاربتهم للقوة نفوذهم منتهزين فرصة ضعف السلاجقة وتمزق دولتهم . وتمكن الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ هـ - ٦٢٢ هـ) (١١٨٠ م / ١٢٢٥ م) من دعم علاقته مع الدولة الخوارزمية الناشئة واستخدمها في اجهاز هي دولة السلاجقة عام (٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م) وقتل طغرل بن الهب ارسلان لفسر سلاطينهم بواسطة جيش علاء الدين محمد خوارزمشاه واستعادت الخلافة بعض هيبتها وعادت لها السيطرة على بعض الاقاليم الضائعة في العراق العربي والاموار وبدا ان الخلافة يستعيد دورا لفترة .. سيطرته على مقدرات الخلافة متحررا في ذلك من النفوذ الذي فرضه سلاطين السلاجقة . والذي وصل الى حد انهم كانوا يربصون السياسة الداخلية والفسارجية للخلافة . وعندما تحلقت الدولة السلجوقية كما قلنا تفرقت الى اتابيكات وحول الاتابيكات قام الولاة والمشتقون في كل من الاقطار وفي جو

الفراغ الذي خلقه تهوى الدولة السلجوقية بالاستقلال بما تحت ايديهم من اقليم مؤسسين مجموعة من الامارات والديولات والشيخيات النصفية هنا وهناك . فالدولة السلاجقة كانت تنقسم الى اتابيكات كما قلنا والاتابكية كانت عبارة عن اقليم كبير يحكمه اتابك ودخل كل اقليم أصبحت هناك الشيخيات والديولات والامارات وهي بدورها كانت تتبع من حيث الشكل الاتابكية التي انفصلت عنها ولكنها في غالب الاحيان كانت تخلق علاقات مع الاتابيكات المجاورة مستقلة الصراع القائم بين الاتابيكات نفسها في تحصيل بعض المكاسب الاقليمية وحتى في المناطق التي لم تكن فيها قوى سياسية مارة هي انشاء هذه الوحدات السياسية الصغيرة شبه المستقلة او المستقلة قامت بعض الاسر الثرية والتي كانت تسيطر على التجارة بالتحول الى السياسة وتأسست امارات كان لها دور بارز في بعض الاجيان . كانت هذه هي السمات العامة للجزر السياسية في هذه الفترة فاذ جئنا الى الخليج نجد على فصر يشكون من تأسيس امارة في جزيرة قيس لصمبح لها فيما بعد تايخيز يلز في تاريخ الخليج كما تمكنت عائلة اخرى من تأسيس امارة في هرمز وتمكن الاتابك مظفر الدين سلقر من تأسيس اتابكية شيراز التي عرفت بالاتابكية السلفية . وقد سارعت هذه الامارات الى كسب ود الخليفة العباسي حتى تضفي على حكمها صفة

الشرعية . ولكننا نجد الدولة السلفية تتعرض لهجوم دولة خوارزم شاه فقد استطاع حاكمها سعد زنكي بلاءه فدين محمد خوارزمشاه واسفرت الحركة عن وقوع سعد زنكي في الاسر واسلق سراحه علاء الدين بعد ان عقد معه اتفاقية تنازل سعد زنكي بمقتضاها عن جزء من بلاءه كما وافق ان يخطب لعلاء الدين على منابر بلاءه وان يضرب العملة باسمه وان يرفع الراية الخوارزمية . وتتصاعد الأحداث ويعيد التاريخ نفسه . فكما كبر البيت السلجوقي واصبح يتهدى الطفيلة كبر كذلك البيت الخوارزمي وبدأ يتهدى الخليفة العباسي واسمع سعد زنكي هو الآخر وبهمك تحالفه مع الخوارزميين ينسأوى للخليفة . وبعلت الدولة الخوارزمية أقصى انتصاها في عهد علاء الدين محمد خوارزمشاه (٦١٤ هـ) حتى انه حاول ان يستولي على بغداد وحاصرها بالفعل ولكنه أخفق بعد ان تعرض جيشه لبعض الكوارث الطبيعية على جبال العراق فانسرح بالعودة الى بلاءه الذي أخذ الفطر للغول بدمهما في سنة (٦١٦ هـ / ١٢١٩ م) فقد انطلق جنكيز خان في زحفه الكاسح الذي طوى الكثير من المدن الاسلامية وعندما عاد جنكيزخان الى بلاءه سنة ٦٢٠ هـ كانت الدولة الخوارزمية بدورها قد تمزقت شر تمزق ومات علاء الدين خوارزمشاه دون ان يجد له اصحابه كفأ يوارون به منصفاته وفر ابنه الاكبر جلال الدين منكبرتي مع قسم من جيشه الى الهند ولم

يبقى الا ابنه غياث الدين الذي تمكن من الاحتفاظ بقسم من العراق لم يصل اليه المد المغولي الاول . وبعد انحصار الهجمة الاولى للمغول وسع غياث الدين سلطانه على خراسان والقيم مازندران . ولكن جلال الدين منكبرتي وبعد ان علم بعودة جنكيزخان لبلاءه عاد من الهند وهاجم اخاه غياث الدين وسارح حكام الاتابيكات بتقديم الطاعة له واستطاع ان يستعيد اكثر الاقاليم التي كانت تابعة لابيه . ولم ينس موقف الطفيلة من ابيه وجده فلزمع مهاجمة الخلافة والفعل هاجم مدينة تستر عاصمة اقليم الاموار فالتحق بحكم الطفيلة ثم رحل عنها وهاجم بغداد سنة (٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) ول هذه السنة تولى الخليفة الناصر لدين الله وكان في سنينه الثلاث الاخيرة قد اصبح عاجزا عن الحركة وقد ذهبت احدى عينيه وضعف ابصار الثانية وفي نهاية ايامه اصابه دورسطاريا حادة لازمه عشرين يوما فقضت عليه^(١) وخلفه ابنه الظاهر الذي حاول ان يبعد صلحا مع السلطان جلال الدين منكبرتي ولكن الفاية لم تمهله فمات سنة (٦٢٢ هـ / ١٢٢٦ م) وخلفه ابنه المستنصر وبقي العداء مستحكما بين الخليفة المستنصر والسلطان منكبرتي لاذك لا غرابة اذا ما رايانا الاتابك سعد بن زنكي حليف السلطان منكبرتي وابنه ايباكز يحاولان يتعريض من السلطان الجوارزمي تقليص نفوذ الخليفة على اماره قيس وامارة البحرين التي كانت

على علاقة طيبة بالخلافة منذ أيام الناصر كما رأينا فيما سبق أن بنى قيس تمكنوا في أواخر النصف الأول من القرن السادس الهجري أن يؤسسوا في جزيرة قيس دولة كان لها تأثير كبير في تاريخ الخليج . وقد مكن لهذه العائلة من الحكم امتلاكها لعدد من السفن كانت تستغلها للغوص والقطاع (النقل البحري) وكانت لها تجارة رائجة مع الهند وأفريقيا . ولما كان العيونيون هم الآخرون لهم سفنهم ويعملون بالغوص والصيد والتجارة فقد كان لابد أن تنشأ المنافسة بين القوتين وقد حاول ابوكريز ابن سمسد بن قيس سنة (١١٤٩ هـ / ١١٤٤ م) الهجوم على البحرين وجرى لذلك حملة بحرية بقيادة أخيه نام سار بن سعد فزلت في سقره وتصدت لها قوة العيونيين بقيادة أبو علي الحسن وأبنة شكر ودارت بين التجمعين معركة ضارية انهزم فيها جيش قيس وأسر قائده . ولكن التنافس لم يخب بين قيس واليعربين وفلت قيس تتعرض باليعربين وساعدها على ذلك تمزق الأسرة العيونية - كما أسلفنا - وتنازع البيوتات العيونية على الحكم . فلما اغتيل الأمير محمد بن أحمد بن أبي ستان لها أبنة الفضل إلى الخليفة طالباً دعمه وقد زوده الخليفة بالمجنقيات والنفق اللازم لغزائقها وغيرها من السلاح وطلب منه الاتصال بشاعر قيس لينسق معه عملية اعداد الجيش . ومن الواضح أن الخليفة طلب من أمير قيس مساعدته على أن يحول

لدار الخلافة جزءاً مما يحصله ليعربين من عائدات البحرين . وهذا يقصر سر الاتفاقية المشنومة التي وقعها الفضل مع حاكم قيس . إذ ما كان يعود من عند الخليفة ويتصل بحاكم قيس الآخر غيث الدين بن ناج الدين جشيد حتى طلب منه الآخر توقيع اتفاقية تحفظ لقيس جزءاً كبيراً من عائدات البحرين ووافق الفضل وكانت هذه الاتفاقية هي كل ما يطمع فيه حكام قيس فقد تمت بموافقة الخليفة فلما اذن صفة الشرعية وجعلت البحرين شبه تابعة لهم وكانت في نفس الوقت المسماة الأخيرة في نعت الدولة العيونية وقد نصت الاتفاقية على أن يكون للأمير جزيرة قيس ما يلي :

- ١ - جزيرة أكل ومقاسمها وبرها وبعمرها وغراجها وما يتصل بها .
- ٢ - جزيرة الجارم وما يتصل بها .
- ٣ - جزيرة العيبر وهي (تحواره وقتان) .
- ٤ - آدم الدبية ما خلا سائتي بلد .
- ٥ - ما في ظهر الحورة وظهر سماهيج من مسارك السك إلى زروان .
- ٦ - خمس مائة دينار في كل سنة للملك قيس .
- ٧ - أن يكون الخراج والمقاسم (للذخيل) والخاصة والطفة وطرار الفاسة والمير والظيارات والعشور بين ملك قيس وملك العرب تصقين .
- ٨ - أن يكون لملك قيس من مقاسم ذكرويت (الحسيني) و (الحساس) ومكسم القصر .

إمارة قيس تنقل ولائها طبقاً لتغير موازين القوى بين الخلافة العباسية والخوارزميين

ولكنه لم يتمتع طويلاً بشمار النصر فسرعان ماذا انتصر من الاتصافيا وكانت عاملاً حاسماً في القضاء على العيونيين . كانت قيس اذن قوة بحرية وهذا كان مصدر قوتها ونقراً بما كُتبه الشريف الإدريسي المتوفى عام (٩٦٠ هـ / ١١٤٥ م) حول الموضوع قال :

« جزيرة كيش وهي جزيرة مربعة طولها اثنا عشر ميلاً وعرضها اثنا عشر ميلاً وفيها مدينة قيس تولاها عامل من اليمن فحصنها وأحسن إلى أهلها وعمرها وأنشأ بها أسطولا وصاحب جزيرة قيس يغزو بهذا الأسطول مدينة الزاج ويصل إلى الكمرون وأهل الهند يخافونه ويهابون شره ويواسونه بالمراتب المسماة بالتشيعات يكون طول المركب منها طول الغراب^(١) الكامل من عود واحد يجذف

٩ - من مقاسم القطيف بستان القصير وبستان المشعري ودالية الدار والدار والغابدية ونصف طراز الفاسة الذين هم ليسوا من أهل القطيف وخمس مائة وثلاثين ديناراً من الخراج لملك قيس زيادة على النصف عوضاً عن بستان المصفاة التي في الأحصاء .

والتمثال في نصوص الاتفاقية يكتشف أن (قيس) جردت البحرين من معظم خطها ولم تترك لسكانها سوى أقل القليل من أراضيها فخطورتها من أنها جعلت لحكام منى وسلطان شيراز عندما أصبحت من تحت سلطانه ولأمراء هرمز قيس مد ذريعة للتدخل في شؤون البحرين القطيف . وكانت الاتفاقية ثمناً بأصناف بحر وخيصوص وليس مستغرباً بعد ذلك أن حلت سرية وساعدت قيس الفضل على مساعدة الحكم في البحرين والقطيف

فيها مايتا رجل وأخير مخبر في وقت هذا التأليف أن عند صاحب مدينة قيس (كيش) من هذه المراكب المسماة بالمشيعات خمسون مركبا كل واحد منها من قطعة واحدة وعنده في سائر المراكب الملققة جملة عديدة ، وهو الآن على هذا الحال يغزو ويسبي وعنده أموال كثيرة وليس لأحد به طاعة بلدية قيس خروج وأغنام وأثعار وبها مخاض للؤلؤ الجيد .

يستفاد من هذا النص أن القوة البحرية لقيس كانت قوة لا يستهان بها في وقت كانت الجيوش حتى أنها لا تجوز على اجتياز البحر ، فالموصل تولفوا عند الظاهريين الفارسيين للخليج لأنه لم تكن لهم أساطيل يسيرون بها المياه وسلطان مسقط ومكان أسس إمبراطوريتهم التي امتدت للساحل الأفريقي الشرقي معتدلا على أسطوله ، فإذا صبح ما أورده الأديري فإن خمسين سفينة ضخمة من نزع الغراب المختار إليه بالإضافة إلى الأعداء الأخرى من السفن العادية لم تكن قوة بسيطة في ذلك الوقت .

ويصف ييلتون المتون مسنة (٦٦٦ هـ / ١٢٦٩ م) جزيرة قيس بأنها جزيرة في بحر عمان دورها أربعة فراسخ وهي مدينة مليحة المنظر ذات بساتين وثمار جيدة وبها مسكن ملك ذلك البحر صاحب عمان وله ثلثا دخل البحرين^(١٧) وهي مرفأ مراكب الهند وير فارس وجبالها تظهر منها المناظر ويزعمون

أن بيتها أربعة فراسخ ، وأيتها حرارا وشريهم من أباب فيها وأخواس الناس صهاريج كثيرة مياه لطر وفيها أسواق وخيرات والمكة هبة وقدر عند ملوك الهند لكثرة مراكبه وديوانيته وهو فارسي شكله وليس مثل الديلم وعنده الخيول العرب الكثيرة والنعم الظاهرة وفيها مخاض للؤلؤ وفي جزائر حولها كثيرة وكلها ملك صاحب كيش ولدت فيها جماعة من أهل الأدب والفقه والفضل ، وكان بها رجل صنف كتابا جليلا فيما اتفق لفظه والفريق معناه ، ضمن رأيه بخطه في مجلدين ضخمين ولا أعرف اسمه الآن .

وجاء عن جزيرة قيس في الموسوعة الإسلامية طبع ليدن ولندن سنة ١٩٧٧ صفحة ٦٤٩ ما يلي :

« قيس جزيرة صغيرة تقع في الخليج الفارسي في القسم الذي يسميه جغرافيون العرب في القرنين الوسطي ببحر عمان وشاسع على ٥٢° من خط الطول (جرينتش) شرقا و ٢٤° من خط العرض شمالا ويجوز اعتبارها من أهم المراكز الفارسية في الخليج بعد جزيرة كشم وتمتد إلى ١٠ أميال طولاً و ٥ أميال عرضاً وتتصل عن البحر بمر ملوله ١٢ ميلاً مما يجعله مرفأ مائيا آمنا ولرغم الجزيرة مسطحة رغم تواجد بعض المستور عليها وهي مزروعة أكثر من أية جزيرة أخرى في الخليج ويشهر علماء الجغرافية من العرب والفرس في القرنين الوسطي إلى رخائيا وزدهارها وبسطة

خاصة إلى ثروتها من الأشجار والفخيل والحقول والأحداق وصهاريج الماء بالإضافة إلى التجارة واللحاة . وكان عدد سكانها في ذلك الوقت لا يستهان به يعارضون صيد اللؤلؤ ونزاهل عرب من قيس واسم قيس معرب عن الفارسية وهي (كيش) أو (كيش) .

مع سبق يتبين لنا مدى القوة التي كان يتمتع بها سلاطين بني قيس ومدى الثراء الذي كانت تتمتع به قيس لدرجة جعلت حكامها يمدون نفوذهم لبعض شواطئ عمان وسواحل فارس في القرن السادس وأوائل السبع الهجري . وكان ولا بني قيس للفضالة السياسية في مداد كما كانوا يدعون للطفيلة جزءا من إرثهم وكان للطفيلة الناصر مثل في قيس يقول استلام ما للفضالة من عائدات سنوية . وهذا لا بد من وقفة لمناقشة طبيعة مساعدة الأمير غياث الدين جمشيد للفصل بين محمد الميمني . فقد عرفنا أن الأمير محمد كان على صلة وثيقة بالطفيلة وإن أبنته الفضل أما إلى الخليفة الناصر بعد مقتل أبيه ملقا مساعدته على الثار ، والنصوص التي بين أيدينا تقول أن الخليفة زوده بعض الجند والسلاح ولكننا مع ذلك .. أنه يلجأ إلى غياث الدين ابن الأمير تاج الدين الأول أن الخليفة أرسل الفضل حاكم جزيرة قيس مع توصية مساعته خاصة وقيس بولائها للطفيلة .

معونتها البحرية كانت مركز ثقل في

المنطقة ، والأمر الثاني أن الاتفاقية السرية التي وقعها الفضل مع الأمير غياث الدين كانت معروفة للطفيلة وبمباركته خاصة وهي تحول جزءا كبيرا من عائدات البحرين إلى قيس التي كانت بدورها تدفع جزءا من عائداتها إلى الخليفة بمعنى آخر أن الخليفة الناصر طلب من حاكم قيس مساعدة الفضل الميمني على استرداد ملك أبيه مقابل عائدات تأخذ قيس جزءا منها مقابل المساعدة العسكرية وتحول جزءا منها لمقر الخلافة .

على أي الأحوال لقد أحترم أصرار البحرين المتعالمين بعد الفضل الميمني هذه الاتفاقية على الرغم من أنها كانت السبب في القضاء على الحكم الميمني وفتح الباب لدولة العصافرة ثم الجبور والنشء المنطقي هنا هو أن الاتفاقية بقيت بعد لغاب الفضل لأن القوة البحرية في قيس كانت وراء ضرورة الالتزام بها . وبقيت العلاقة بين البحرين وقيس ودية خلال الفترة من ٦٠٦ هـ إلى ٦٦٦ هـ وهي الفترة التي انتهى فيها حكم الأمير غياث الدين بن الأمير تاج الدين جمشيد وخلفه في حكم قيس الملك سلطان قرام الدين .

أما علاقات قيس بأمارة هرمز فكانت سيئة فقد وقعت هرمز بقوتها البحرية منافسا صعبا أمام قيس ولما كانت هرمز تملك هي الأخرى أسطولا قويا للتجارة والصيد والنوص فقد وقعت بين الإمراتين عدة مناوشات وإزاء هذا

هجمات الشرق في صحراء المغول الخامسة توسّعت على العالم الإسلامي محاولة تمزيقه

المحرك الرئيسي وراء ما شهده التاريخ من هروب وهزاعات ، لقد كانت الامارات المتصارعتان من اكثر الامارات شراء وكانت مفاصحات اللزأ والمساند بالاضافة الى عمليات نقل التجارة من وإلى هذه المناطق البعيدة التي وصلت للهند والفرقيا سببا في انصياب القوة باستمرار على امارات محدودة السكان . هذه القوة اسالت لعاب السلفيين ولم يفلت السلطان ابوبكر الفرصة في اشغال نال الفتنة بين الطرفين وقسب لعدوى الامارات بالآخرى فاقبل بأمر هرمز سيف الدين ابوالنصر واغراه بمهاجمة قيس والقضاء على حكم ابنه قيس ووعده ان يده بالجنه والساعدة وأن يعد هو السلطان لنقل هذه القوة الى قيس على ان يكون لأمير هرمز في حالة النصر حكم جزيرة قيس بالاضافة الى ثلث دخلها بما في ذلك ما تحصل عليه قيس من البصريين حسب الاتفاقية المبرمة مع الفضل الميمني ويكون للسلطان ابوبكر ثلثا الدخل ووافق امير هرمز على ذلك وعقدت بين الجانبين اتفاقية بهذا الشأن وتم اعداد القوات ومهاجمة جزيرة قيس

الخلاف برز دور جديد لاتابكية شيراز التي تأسست فيها الدولة السلفية فقد كان السلطان سعد بن زنكي يعمل - كما اشيرا الى ذلك من قبل - على مهاجمة الخليفة متحالفا في ذلك مع السلطان الفوارزمي جلال الدين منكبرتي الذي كان يعتبر الخليفة مسئولا عن اشارة المغول ضد والده .

والامارتان المجاورتان في قيس وهرمز اسارتا مواليتان للخليفة . وقد شب الصراع بينهما ولكن سعد زنكي لم يكن يملك اسطولا بحريا يمكنه من التدخل عسكريا للقضاء على الامارتين او هل اجداعها فلم يكن امامه الا اشارة الفتنة بين القوتين المتصارعتين وهو ما عمل له هو وابنه ابوبكر . ولكن اذا كان الطفل بين الدولة السلفية (اتابكية شيراز) وبين الفوارزميين تحت حكم جلال الدين منكبرتي هو الدافع الاول لتدمير السلفيين بقيس وهرمز فان هناك عاملا آخر اشد تأثيرا كان هو الدافع الرئيسي وراء محاولات السلفيين ويومد هذا العامل الاقتصادي للظهور وهو العامل الذي يرى لطاع من المؤرخين انه هو

وهجمات الغرب في الحملات الصليبية الحادية

السفن اللازمة لنقل الجنه . وبالفعل جهز سكان قيس السفن اللازمة وجهز السلطان ابوبكر جيشا اسند قيادته الى (صلاح الدين محمد دالر) وأمره بقتل سيف الدين ابوالنصر اذا وقع في يده ونقلت سفن قيس القوة المتجهة لغزو قيس وشتت القوة مجزءا في شهر محرم سنة ٦٢٨ هـ وانتهت المعركة باحتلال قيس واسر الأمير سيف الدين ابوالنصر وقتل وبعد احتلال الجزيرة اسند السلطان ابوبكر سعد بن زنكي حكمها الى شهاب الدين محمود بن عيسى وأرسل ثوابه هو الآخر الى أمير البصريين منصور بن علي الميمني طالبا ان تسلم البصريين العوائد التي نصت عليها اتفاقية الفضل الى حاكم قيس الجديد و مرة ثانية وافق الأمير منصور على تسليم العوائد .

لم تعد قيس اذن موالية للخليفة العباسي بعد ان اصبحت تحت حكم ابوبكر سعد بن زنكي حليف المنكبرتي والذي يتخذ موقف العداة مع الفوارزميين من الخلافة . هذه الحقيقة أدت بدورها الى تغيير سحر الاحداث

طبقا لنص الاتفاق و تم لها النصر واسرت القوات المهاجمة الملك سلطان قوام الدين امير قيس وتم قتله يوم الثلاثاء ١٢ جمادى الآخرة سنة ٦٢٦ هـ . وبقته انتهى حكم بني قيس وقيل للحكم امير هرمز سيف الدين ابوالنصر وما غنى أن أرسل رسله الى الأمير منصور بن علي الميمني أمير البحرين والقطيف طالبا منه تسليم العوائد التي نصت عليها اتفاقية الفضل والتي كانت تدفع لقيس لسلح الأمير منصور العوائد الى رسل سيف الدين .

وبقي سيف الدين ابوالنصر يحكم قيس لمدة سنتين ولكن يبدو ان مطامح امير هرمز لم تخف على خليفة السلطان ابوبكر بن سعد بن زنكي فلم يكذ سكان قيس يملكون استيادهم من سيف سيف الدين ابوالنصر ويرسلون السلطان اسابكر بالاسرا حتى طلب منهم توفير السفن اللازمة لنقل جنوده لتخليصهم من حكم هرمز يدفعه هو الآخر للطمع في ثروة الجزيرة وقد سهل الأمر لهذه القوى البحرية ان القوى المتصارعة فوق مياه الخليج كانت على استعداد لتقديم

بالنسبة للبحرين . فالبحرين موالية للخلافة كلها مثل جزء كبير من العالم الاسلامي الذي كان ينظر للخليفة العباسي باعتباره رمزاً للاسلام وإن لم يكن له في الواقع سلطان فعلي مؤثر ولكن تغير الأحداث في قيس جعل الحكم في هذه الجزيرة للقوة المعارضة للخلافة بالانحياز الى ما تملكه الاتفاقية التي وقعتها الفضل مع قيس من اعباء على البحرين . هذا الواقع الجديد ظهر بسهولة في تفكير الاسير محمد بن محمد بن مساجد بن علي منصور بن علي بن مساجد . فاستمرع الأمير محمد الى بغداد واتصل بالخليفة شارحاً له الامر وطالباً مساعدته على التمدد من نواحي خصومه المهيمنين على قيس ومن حكم ابن عمه الأمير منصور الذي استسلم لهم ووالق على دفع المصائدات اليهم . وبالفعل أسند الخليفة بقوة عسكرية مكتنه من طرد ابنه الأمير منصور بن علي واحتلال القطيف والبحرين في سنة ٦٣٠ هـ .

وتسارع الأحداث بعد ذلك . فقد غاضب هذا التنصير السلطان أبو بكر وضايقته محاولة البحرين للتصدي من نفوذه ولجؤتها للخليفة في بغداد فحدث قوة كبيرة لاحتلال البحرين والقطيف .

وهنا لنا وقفة لمناقشة ما كتبه الدكتور الحميدان حول هذه النقطة . فهو يقول أن الأمير عصفور بن راشد قد احتل القطيف في

عام ٦٢٢ هـ مؤسساً دولة العصفوريين وأنه اتصل من أجل ذلك بالسلطان أبو بكر في قيس الذي ساعده على تولي حكم القطيف والقضاء على حكم العيونيين بها . ولما كانت المعركة بين الأمير محمد بن ماجد والسلطان أبو بكر قد حدثت في عام ٦٢٢ هـ فمعنى ذلك حسب الرأي السابق أن الأمير محمد بن ماجد قد واجه في نفس اللحظة معركة مع حاكم قيس من الشرق والعصافرة من الغرب وهو امر لم يكن مستطاعه . والذي يستقيم مع المنطق ويؤكد ترتيب تواريخ الأحداث هو أن الأمير محمد بن مساجد اتفق مع عصفور بن راشد على التحالف لمواجهة الخطر القادم من قيس مقابل أن يتنازل له من حكم القطيف . يؤكد ذلك أن المصادر التي بين أيدينا تقول أن حكم الأمير محمد بن ماجد على القطيف دام ثلاث سنوات وخمسة أشهر وأن حكمه على البحرين دام خمس سنوات وخمسة أشهر فذاً كان بدء حكمه في عام ٦٢٠ هـ فانه يكون قد ترك القطيف سنة ٦٢٢ هـ وهو العام الذي هاجم فيه السلطان أبو بكر البحرين .

على أي الأحوال فقد هاجم السلطان أبو بكر البحرين بقوة كبيرة لغتصدي لها الأمير محمد بن ماجد العيوني ودارت معركة حامية أسفرت عن هزيمة جيش قيس ودحر القوة الغازية . ولكن السلطان أبو بكر لم ينس هزيمته فما كان يعوده الى قيس حتى شرع في تجهيز حملة أخرى .

ولكن الظروف كانت قد تغيرت فقد اكتسح التتار في مجيئهم الثانية الدولة الخوارزمية الثانية وقتل السلطان جلال الدين منكبرتي في منتصف شوال ٦٢٨ هـ أغسطس ١٢٢٦ م وأصبحت الدويلات الإسلامية مكتوفة أمام الغزو التركي الكاسح الذي ركز اندفاعه هذه المرة نحو الشرق . ووجد السلطان أبو بكر نفسه وحيداً بعد أن داست هوافر الفيل الدولة التي كانت متحالفة معه ضد الخلافة . فبدأ في الاتصال بالخليفة وأعلن ولاءه له وتعهده بأن يدفع لدار الخلافة المعونات التي كان يدفعها أمراء بني قيس بعد تحصيلها من العيونيين .

بعد أن مهد بذلك لعملة المغيلة جهز جيشاً كبيراً قاد به بنفسه وانضم اليه الكثير من عرب الساحل وهاجم جزيرة البحرين وتوكل من احتلالها وقتل الأمير محمد بن محمد بن مساجد . وصودرت

جميع ممتلكات العيونيين وتعرضوا للقتل والسلب ويقتل الأمير محمد انتهى حكم العيونيين على البحرين سنة ٦٢٦ هـ وقد كتب الدكتور الحميدان في ذلك نقلاً عن مصنف الحضرة : « يصلينا وصاف الحضرة بعض المعلومات المفيدة عن علاقة اتابكة فارس بالخلافة العباسية حيث قال بأنه بعد الاستيلاء على أوائل والتي يسمونها البحرين ثبتت في ديوان الخليفة المستنصر بالله . وفي كل سنة يكتب دخلها ويخرجها ويرسل به الى بغداد مع معتمد الخليفة في أوائل .

ولكن الأمر لم يدم طويلاً فهازم الزحف المنفوي . فتوصل السلطان أبو بكر عن النشالة التي تطلق انشاسها الأخيرة وسارع بفتح وبه المغول فأسفل الهدايا الثمينة مع أخيه تهنئ ال أوكلاني بن جنكيز خان وخليفته في حكم التحالف المغولي وبذلك تمكن من دره الخطر المغولي عن بلاده .

الهوامش

١ - محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) للتشيخ محمد الخضرى بك من ١٢٨ .

٢ - تختلف كلمة نتر بالمعنى العام باختلاف العصور . فقد أطلق هذا التلفظ على جماعتين من قبائل التتر ورد ذكرهما في نقوش الأرخون التركية التي ترجع الى القرن الثاني الهجرى كما أطلق هذا الاسم على المغول عامة او على فريق منهم خاصة وفي جميع الفتوحات المغولية التي وقعت في القرن السابع الهجرى كان التاتيون يطلق عليهم التتر في كل مكان نزولوا فيه سواء اكان في الصين ام في البلاد الإسلامية ام في بلاد الروسيا وغرب أوروبا وسمى ابن الأثير أسلاف جنكيز خان باسم التتر وهم التتر الأوائل ولم يظهر اسم المغول على صفحات التاريخ حتى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ومن المرجح انه أطلق على تلك العشائر التي انضوت تحت لواء زعيم إحدى قبائلهم كان يحمل ذلك الاسم ثم بسط هذا الزعيم سلطانه على سائر العشائر المتحالفة ومن ثم أطلق عليه اسم المغول انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن الجزء الرابع ص ١٣٠ - ١٣١ .

٣ - جنكيز خان (١١٦٧ م - ١٢٢٧ م) فاتح مغولى أسس الامم الاصلى تيموجين خلف اياه بقوصاى رئيسا للصفاء المغولى . اتخذ تيموجين لقبه سنة ١٢٠٦ م بعد ان قام فتح منغوليا واثابيس عاصمة له في قراقورم . هاجم ١٢١٧ تيموجين امپراطورية التتار في شمال الصين وفي عام ١٢١٥ كان قد استولى على غالبية اراضيها بما فيها العاصمة ينتشج (بينجج الحالية) فتح ١٢١٤ - ١٢٢٤ تركستان وبلاد ما وراء النهر ولفغانستان وخراسان على فارس والندول الواقعة حاليا في جنوبى روسيا . ثو الى اثناء هربه ضد التتار وقسمت مملكته بين اولاده الثلاثة فرفض هروب جنكيز خان بالذبايح الذهبية ولكنه كان حاكما بارعا وبقيت امپراطوريته حتى ١٢٦٨ م وقد تصدر منه تيمورلنك .

(الموسوعة العربية الميسرة ص ٦٥٠)

١ - هو لاقو خان (١٢١٧ - ١٢٦٥ م) فاتح مغولى حفيد جنكيز خان وجهه اخوه منكوق خان المغولى الاعظم لاضمار ثورة في فارس فغير مهر جيحون ١٢٥٦ م فاقام صفار اسراء فارس ولاهم له . قام ايان هذه الحملة بالقضاء على الحشاشين وقتل ركن الدين زعيمهم . اجه غريبا فزح على بغداد التي سقطت عام ١٢٥٨ م في يده بعد مطرولات مع الخليفة العباسى المستعصم بالله فقتل الخليفة وعددا كبيرا من رجاله ونهب قصره . زحف الى ١٢٦٠ م على شمال الشام وفتح حلب وفتح بغداد بعدد كبير من اهلها . رفض الخليفة الاستسلام له وزحف السلطان قطز لملكته والحق به الهزيمة في عين جالوت قرب الحامسة بالسلطن استسلم لولاكو وانسحب شرقا .

(الموسوعة العربية الميسرة - طبعه دار النهضة ببلقان ١٩٨١)

٥ - الكامل ج ١٢ ص ٢٤٥ - ٢٤٦

٦ - تاريخ الإسلام - د . حسن إبراهيم حسن ج ٤ ص ١٤٦

٧ - د . حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام ج ٤ ص ١٥٣

٨ - نفس المصدر السابق

٩ - تاريخ الإسلام - د . حسن إبراهيم حسن ج ٤

١٠ - ابوالمجد : هو محمد بن علي ولد مسعود

١١ - الملقب : هو الخليل لتجمع للاغرة (المنجد)

١٢ - في هذا البيت يشير الشاعر الى ان التمسوخ مسعود جده لانه هو الفضل بن عبدالله بن علي العميين اى ان الفضل هم احوال مسعود وهذا هو سر مساعدة الفضل لمسعود لانهم احواله .

١٣ - المطهرة : سجن يشبه الحب يذلل فيه السجنين بواسطة حبلى ثم يرفع الحبلى ويتره السجنين في قصر العجب ويؤود بلاءه والاكل بواسطة الحبلى (الباحث)

١٤ - القرمل : هو شجر ضعيف لا شوك فيه ولا المائل - لثليل عاد بارملة . (المنجد) والدود هو الشجر السابق التعليل فهو هنا يصف آل فضل بالدود ويصف ميرهم بالشمج القصير الضعيف الذى لا شوك فيه يذود عنه .

١٥ - محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية - الشيخ محمد الطهرى بك ص ١٧٦

١٦ - الغرباب : نوع من السلطان

١٧ - يشير بذلك الى الانقلابية التي اوردها فيما سبق .

